الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 14) – 1993 – 1413

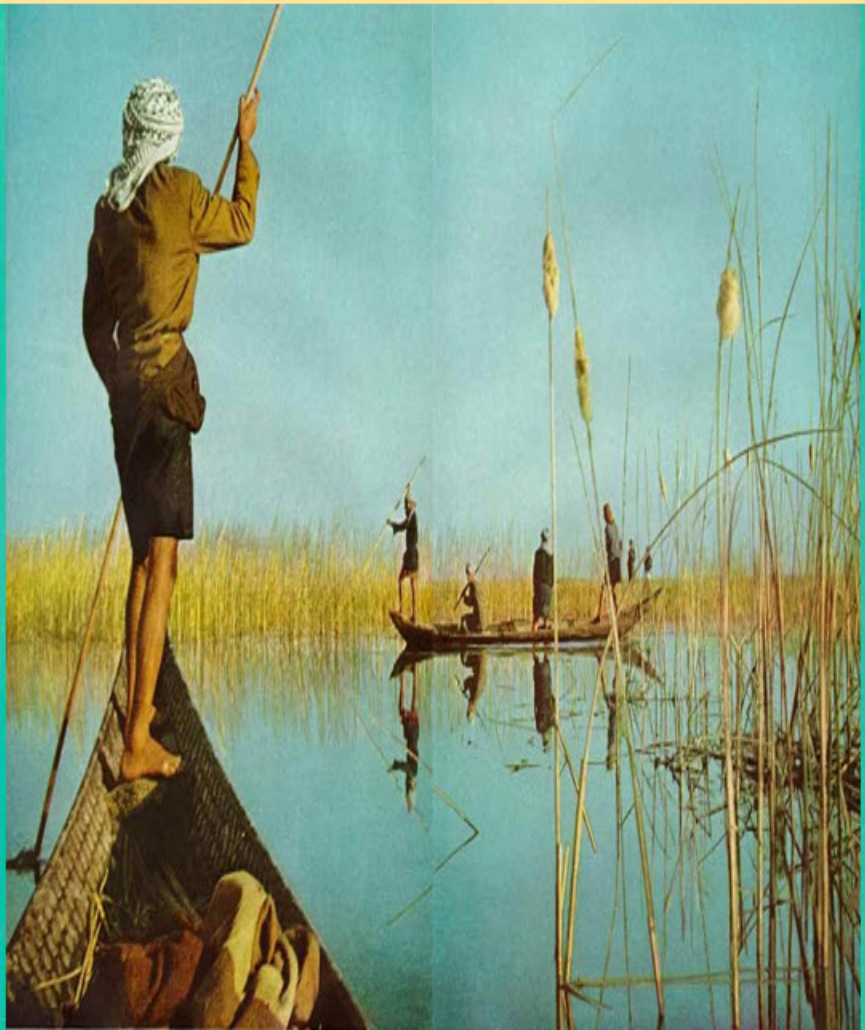

مجلة فصلية محكمة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

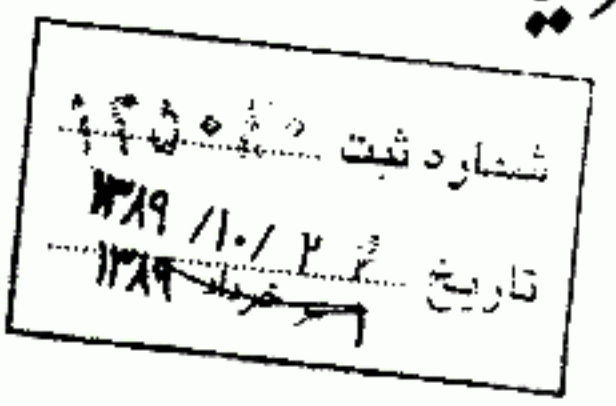

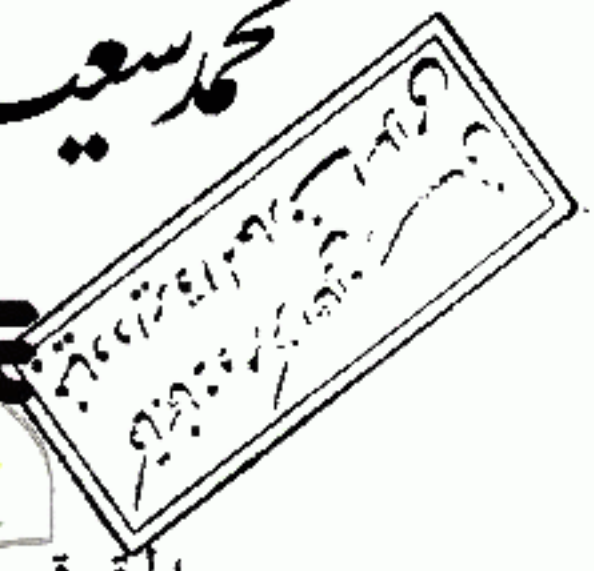

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ترسل جميع المراسلات والطلبات بإسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

AL KUFA HOUSE POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
HOLLAND

الاشتراك السنوي للأفراد ٥٠ $ وللمؤسسات ١٠٠ $.

مستلزمات الوعي ، النهضة والأصلاح عند شيعة العراق

● رشيد الظالمي

مفردات الوعي ، النهضة والاصلاح متداخلة الى حد كبير ويعتمد بعضها على البعض الآخر فمن خلال الوعي تتم النهضة والاصلاح ، ووضع الشيعة في العالم عموماً وفي العراق خصوصاً من الناحية الفقهية والتي تشمل وتتفرع منها الرؤى السياسية والعبادية والاجتماعية والاقتصادية لاتحتاج الى اصلاح لأن الاصلاح يعني وجود حالة صحيحة سليمة مع بعض النواقص التي تحتاج الى تقويم وتكميل وحالة كهذه غير موجودة عندنا ، والشيعة اليوم يحتاجون الى نهضة بل ثورة داخل المؤسسة الفقهية بلحاظ انها العقل المفكر والموجه للأنسان الشيعي .

ان معظم الحديث السائد في الندوات والمهرجانات والادبيات بين المثقفين الشيعة اسلامين وغير اسلاميين هو عرض ازمة الشيعة الدينية والمذهبية وخصائص الاضطهاد التأريخي ، والاضطهاد المعاصر مع عدم التركيز على العوامل والاسباب التي أودت بالشيعة الى هذه الحالة التي دفعت بالكثير منهم للاستنجاد باعداء الشيعة أنفسهم .

ان أهمية النهضة داخل المؤسسة الدينية يبدو مهمة وضرورية عندما يكون الانسان الشيعي المتصدي امام حقيقة محتملة وهي السماح له باقامة نظام سياسي واجتماعي واقتصادي وفق المذهب الشيعي ، وحينئذ يبرز السؤال الخطير : هل لدى الانسان الشيعي نظاماً سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً جاهزاً واضحاً يغطي حاجة الدولة الحديثة ؟ فالاسلاميون قد يجيبون بنعم لاول وهلة معتمدين على التراث الضخم المركوم في المؤسسة الدينية لكن في الواقع العملي سوف يواجهون عكس ما يتوقعون ولنتكلم عن ضوء الفقه بشكل مختصر ، فالنظرية السياسية لم تكن واضحة ابداً بل ساذجة احياناً في بعض جوانبها ، وهي تتلائم مع العقل البدائي السياسي ، فمثلاً بعض الآراء ترى بعدم جواز قيام أية حكومة اسلامية زمن الغيبة ويذهب الى هذا الرأي الشيخ حسين الحلي[1] الذي يعتقد أن قيام حكومة اسلامية زمن الغيبة تجاوز على مقام الامام المهدي (ع) ، ويرى غيره أن دور الفقية لا يتجاوز الامور الحسبية كإستلام الحقوق الشرعية وتوزيعها ومهمة الوصايا ، والاشراف على بعض المشاريع الخيرية ، وعلى اية حال فلا يرقى هذا الرأي الى اقامة دولة اسلامية ، وذهب آخرون الى امكانية قيام دولة

(١) راجع ترجمته في الموسم العدد ١٢ (٧٩٨ ـ ٨٠٠) .

اسلامية ولكن اختلفوا حول خصائص القيادة ، فمنهم من يرى الحكومة ضمن الشورى ، ويتبنى ذلك السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان ، والشهيد الصدر ، قبل ان يعدل الى ايمانه بولاية الفقية ، ومنهم من يرى ولاية الفقيه لكن تبقى غير مطلقة ، أي مقيدة بحدود معينة ، وقد تبنى هذا الرأي الامام الراحل الخميني (رض) ثم عدل الى رأيه الاخير وهو الولاية المطلقة بعد ان واجه مشكلات واقعية متعلقة باقامة النظام والادارة والتي تتطلب صلاحيات مطلقة ، وهنالك رأي آخر يرى ضرورة قيام دولة اسلامية بالامكانيات المتاحة فان وجد الفقيه فيها وان لم يوجد فبالشورى ، وفي حالة التعذر فبعدول المؤمنين وهو رأي يتبناه الشيخ المجدد محمد جواد مغنية .

أما النظرية الاقتصادية أو الفقه الاقتصادي فلم يكن أحسن حالاً من الفقه السياسي ، بل هو يتلائم مع الاقتصاد البدائي ، أو اقتصاد المقايضة في القرون الوسطى وما قبلها وافضل الكتب التي كتبت في الاقتصاد الاسلامي هو كتاب اقتصادنا للسيد الشهيد الصدر ففي الجزء الاول يتناول النظرية الرأسمالية والاشتراكية بالشرح والنقض ، والجزء الثاني هو محاولة لاكتشاف المذهب الاقتصادي الاسلامي وهو الطريقة التي يمكن انتهاجها اسلامياً في الاقتصاد وبخطوط عريضة وواسعة عند اقامة دولة اسلامية على غرار المذهب الرأسمالي أو الاشتراكي ، وهذه المحاولة كانت لدفع التهمة الموجهة الى الاسلام بانه ليس له طريقة خاصة في الاقتصاد ، وهذا يعني عموم وجود علم اقتصاد سياسي اسلامي لأن هذا العلم يكون نتيجة اقامة الدولة الاسلامية ، وتطبيق المذهب وفي حالة غياب ذلك فلا يتكون العلم الذي هو تفسير الحياة الاقتصادية واحداثها وظواهرها وربط تلك الاحداث والظواهر بالاسباب والعوامل العامة التي تتحكم فيها وحيث عدم وجود حياة اقتصادية اسلامية ضمن نظام سياسي اسلامي فلا اقتصاد سياسي اسلامي .

ومراجعة امهات الكتب الفقهية والمعتمدة والرسائل العملية (المعاملات) شاهد على صحة ما نقول ، فقد كتب الشيخ الانصاري كتابه (المكاسب) في ثلاث أجزاء ، المكاسب المحرمة ، البيع ، الخيار ، وهو اقتصاد يتلائم مع ذلك الزمان وقد استمر الفقهاء الى يومنا هذا في دراسته وتدريسه ، ولم يلحظوا التطورات المذهلة في عالم الاقتصاد ويمراجعة كتب المعاملات ترى صدق ذلك وكما أسلفت .

ومن المعلوم لدى الجميع ان النظام الاقتصادي الحديث معقد جداً ومتداخل الى حد بعيد بابعاده المالية والانتاجية والتجارية ، ونظام العملات والتجارة الدولية مثل هذا يفترض ان يدفع الفقيه الى وضع دراسة أو تحديد رؤية مذهبية واضحة وخاصة ان التخلف في هذا المجال يعني التخلف عن ركب الحضارة والتأخر عن مسيرة الانسان .

أما النظرية الاجتماعية أو الفقه الاجتماعي فكثير منه لا يصلح للوقت الحاضر إلا في بعض المجالات ذات الابعاد الاخلاقية فلايزال الفقهاء يتناولون في رسائلهم العملية أحكام الرقيق والأماء وهي امور تشير الى المجتمعات الطبقية في العصور السالفة أما اليوم فالوضع مختلف ، فنحن محتاجون الى نظريات اجتماعية اسلامية يمكن من خلالها معرفة الوضع الاجتماعي والتركيبة النفسية للمجتمع الشيعي وعلاقته مع المجتمعات الأخرى اسلامية وغير اسلامية واسلوب التعامل معها وعلى أسس سليمة تضمن خدمة الدين لا على أسس سلبية تقوم عن سوء ولتشوه عقيدته كما حدث في العقود الثلاثة الاخيرة .

أما الوعي أو الافق الذهني والحضاري من وجهة نظر اسلامية فلننظر من جانبين :

[الجانب الاول] الوعي لدى الامة :

فمع كل الجهود المبذولة من قبل الحركة الاسلامية أو النشاط الاستثنائي للسيد محسن الحكيم (رض) ترى حالة التخلف الواضح لدى قطاعات واسعة من الامة وقد اطبق الجهل والخرافة على معتقدات وتصورات كثير من الناس يدعم ذات الفقر ومجتمع الريف الشيعي مثال على ذلك حتى وصل الحال لدى بعض الناس الى تكريس بعض الشعارات والطقوس على انها اولويات واساسيات في الاعتقاد الديني ورفض اساسيات حقيقية يقوم عليها الايمان والاسلام .

[الجانب الثاني] وعي المؤسسة الدينية :

لم تكن المؤسسة الدينية بتعقيداتها من المهتمين بتطور الوعي الديني لا على صعيدها الذاتي ولا على صعيد الامة كما اسلفنا .

وسبب ذلك يعود الى البنية المعقدة التي تقوم عليها الحوزة ، والتي تؤكد على البقاء على القديم ومحاربة التجديد وحتى وقت قريب لم يسمح باقتناء الراديو في مساكن الطلبة أو استنكار لبس الساعة اليدوية بل منع دخول أو اقتناء الكتب الفكرية ككتاب اقتصادنا وفلسفتنا ، وعندما شرع الشيخ المرحوم محمد رضا المظفر مع بعض المخلصين في أقامة مشروع حضاري انتقده بعض رجال الحوزة وقالوا «قتل الحسين مرتين !» .

ومن الجدير بالذكر ان مناهج الحوزة ثابتة ومقررة ، ولا يمكن التلاعب فيها ، وأما كيف نبغ افراد في مجالات الفكر كالسيد الصدر (رض) فهو راجع الى جهده الشخصي ومطالعاته الخاصة ، وتأثره بالجو السياسي الخارجي الذي بدأ الضغط على الاسلام .

ومن هنا نستخلص الى أن الانحدار في وعي الامة راجع الى التخلف في وعي المؤسسة الدينية المتأثر بطبيعة الحال بنظامها وبرنامجها الخاص بها .

أن الافق الفكري والحضاري للفقيه يؤثر على فتواه الى حد بعيد ، فالفقيه المطلع على مستوى معقول من العلوم وله خبرة ميدانية واجتماعية يختلف في فتواه عن الفقيه الذي ولد وعاش في جو مغلق ، وضمن مناهج تديمه ، وتوجد أمثلة كثيرة جداً على ذلك بصدد الفتاوى أو فلسفة الاحكام ، كتحريم شغل المناصب الحكومية ، أو الالتحاق بالمدارس الحكومية ، أو العلاقة مع الانسان غير المسلم ، فمن الفقهاء من ينجس الكتابيين ويمتد إلى بعض الموحدين ، ومنهم من يرى الاحتياط الوجوبي ومنهم من يرى التطهير ، ومنهم من يرى تطوير الجنس البشري وهو رأي يتبناه البعض في جلسات خاصة (..) .

قال تعالى